

تفكيك القصص القرآنيّ
قصة موسى أنموذجا

Deconstructing Quranic Stories
The Story of Moses as a Sample

أ. حسين إبراهيم

الجامعة اللبنانيّة
لبنان

huseinibraheim4@gmail.com



تفكيك القصص القرآني قصة موسى أنموذجا

أ. حسين إبراهيم

ملخص:

نحاول في هذا البحث تقديم قراءة جديدة لقصة موسى القرآنية، انطلاقاً من إستراتيجية التفكيك، فنحن نرمي إلى تسليط الضوء على ما هو محظور والتعامل مع النص القرآني بموضوعية، وبعيداً عن أشكال الفهم المسبق والتفسير الميتافيزيقي كلها. وقد قسمنا البحث إلى فصلين أساسيين: الأول، يحاول رصد التناقضات الظاهرية والضمنية في قصة موسى القرآنية. أما الثاني، فيحاول رصد التقاطع بين هذه القصة وما سبقها من نصوص دينية وأسطورية، وهو ما يُعرف بالتناص. الكلمات المفتاحية: تفكيك، تناقضات، تناص، أسطورة، معجزة.

Abstract:

In this research, we attempt to present a new reading of the Qur'anic story of Moses, based on the deconstruction strategy. We aim to shed light on what is prohibited, and to deal with the Qur'anic text objectively, far from all forms of prior understanding and metaphysical interpretation. We have divided the research into two main chapters: The first attempts to monitor the apparent and implicit contradictions in the Qur'anic story of Moses. The second attempts to monitor the intersection between this story and previous religious and mythological texts, which is known as intertextuality.

Key words: deconstruction, contradictions, intertextuality, myth and miracle.

1- مقدمة:

ينظر المسلمون إلى القرآن على أنه كتاب الله، فيتوضؤون إذا ما قرروا الإمساك به أو لمس إحدى صفحاته وآياته، ويقبلونه قبل فتحه، ويقبلونه بعد غلقه، ويحرصون على تجويده وترتيله وحسن تلاوته، حتى أنهم يتمنعون من وضعه فوق أفخاذهم كأبي كتاب آخر، بل يستقيمون في جلساتهم أثناء القراءة كما لو أنهم يجلسون في حضرة الله وجهًا لوجه.

كل هذه الطقوس الشكلية وغيرها ناتجة عن تبجيلهم لهذا الكتاب ونظرتهم الموروثة إليه بأنه أعظم نص وجد على الإطلاق، وأنه معجزة لغوية وبيانية لا مثيل لها... كلام حفظوه ونسوا أن يمحصوه أو أن يتأكدوا من صحته، فهم ليسوا في حاجة إلى ذلك، كما يدعون، إنهم على يقين من هذه الحقيقة المطلقة. كيف؟ هل تيقنوا منها بعد الفهم والتعمق؟ لا. بعد المقاربة والمقارنة؟ لا. بعد التحليل والتأويل؟ لا. بل إنهم على يقين منها وكفى!

وكيف بإمكانهم أن يفهموا النص القرآني وأن يقاربوه ويؤولوه، وهم محاطون بتلك الطقوس الأولية التي تشبه السلاسل؟ ولماذا سيفعلون ذلك ما داموا مؤمنين سلفًا بأنه أعظم نص في التاريخ، وأنه خالٍ من الثغرات والأخطاء كلها ولا يجوز لهم أن يشككوا في ذلك، حتى؟ إنهم يقرؤون هذا النص؛ إمامًا طمعًا بالحسنات التي ترجح كفة ميزانهم، وإمامًا لفاجعة ما أصابهم. وفي الحاليتين، تكون القراءة شكلية كباقي الطقوس، تتوسل أجرًا أو مواساةً.

ولا ندري ما هو هذا الإيمان الذي لا يدفع صاحبه إلى التعمق في كل حرف من حروف النص الإلهي، وقضاء الساعات والأيام في محاولة فهمه وتفسيره، أمّا من يفعل ذلك، فسوف يجد نفسه أمام طريقتين: الأولى، هو الإصرار على الموقف الإيماني وتجاهل الثغرات التي قد يصادفها في هذا النص، أو محاولة ترقيعها كما فعل أسلافه القدماء. والثاني، هو اعتناق الموضوعية والتجرد من الفهم المسبق والقراءات السابقة التي حاولت ترقيع تلك الثغرات وحشوها بالتأويلات اليائسة.

أما نحن فقررنا أن نسلك الطريق الثاني؛ طريق الموضوعية، وكما يقول إميل سيوران "أن تكون موضوعيًا يعني أن تعامل الآخر كما يُعامل الشيء، كما تُعامل الجثة، أن تتصرف تجاهه وكأنك دافن موتى"¹، وقد يسأل البعض: هل يصح أن نسلك هذا الطريق إن كان ذلك الآخر هو الله؟ والإجابة هي: لا بد من أن نسلك هذا الطريق لاسيما إذا كان الآخر هو الله. وما قول نيتشه بموت الإله إلا محاولة منه ليكون موضوعيًا، إنها دعوة إلى الانسلاخ عن الموروث أكثر منها دعوة إلى الكفر والإلحاد.

نعي تمامًا خطورة ما نحن مقدمون عليه، ولسنا الأوائل على أية حال، فثمة من سبقنا بأشواط، إلا أن الخطورة الأكبر تكمن في السكوت وعدم التشكك وعدم النقد والخوف من القول: إن النص القرآني يحتوي على ثغرات، والفكرة الأخيرة، كغيرها من الأفكار المماثلة، تستطيع لوحدها أن تحدث موجة من الامتعاض، فكثير من العداء في مجال الفكر - كما يقول نصر حامد أبو زيد - يرتد إلى عمليّات التباس ناتجة عن سيطرة

1- سيوران إميل، مثالب الولادة، ط1، تر. آدم فتحي، بيروت، منشورات الجمل، 2015، ص48.

نزعة تتصوّر أنّ ما في الأذهان مطابق مطابقة تامّة لما في الأعيان، وتزايد درجة الالتباس وما يترتّب عنها من عداء ورفض حين يكون ما في الأذهان قديماً راسخاً لأنّه يكتسب من القدم صفة العراقة التي تضفي عليه مشروعية لا يجوز المساس بها أو الاقتراب منها لأنّها مشروعية مقدّسة¹.

إذاً، إنّنا نحرص في هذه الدّراسة على التّأكيد بأنّ "ما في الأذهان لا يكون بالضرورة مطابقاً لما في الأعيان"، فضلاً عن أنّنا نحرص على زعزعة ما هو "قديم راسخ" والتّشكيك في "مشروعيته المقدّسة" وذلك من خلال تقديم قراءة جديدة لقصة موسى القرآنية والتي تقوم على المساءلة والنّقد.

الإشكالية:

لا نريد من خلال هذا البحث سوى التّساؤل، وليس نقدنا وهدمنا وتشكيكنا وكلّ ما سنقدم عليه، إلّا محاولة للتّساؤل فالأسئلة التي "تنبش في العمق وتحفر في أخابيد المعرفة، تأخذ معها أكداً من الأجوبة المتهرئة إلى لحدها وطمرها التّهاوي"²، أمّا الأسئلة التي تتمحور حولها هذه الدّراسة فيمكن اختصارها في سؤالين أساسيين: هل خلت قصة موسى القرآنية من التناقضات والثّغرات الشكّية والمعنوية؟ وهل تُعدّ هذه القصة نصّاً مستقلاً بأفكاره وأحداثه وشخصياته؟ أم أنّها أثّر لنصوص دينية وأسطورية سابقة؟

المنهج المتّبع:

سنلجأ في هذا البحث إلى التّفكيك، وهو إستراتيجية³ صاغها الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا في مجال النّقد الأدبيّ. تنطلق هذه الإستراتيجية من موقف فلسفيّ مبدئيّ قائم على الشكّ، وقد "ترجم التّفكيكيون هذا الشكّ الفلسفيّ نقداً، إلى رفض التّقاليد، رفض القراءات المعتمدة، رفض النّظام والسلطة من ناحية المبدأ"⁴.

وتحاول إستراتيجية التّفكيك تقويض النّص فتبحث داخله عمّا لم يقله بشكل صريح، وهي تعارض منطق النّصّ الواضح وادّعاءاته الظّاهرة بالمنطق الكامن فيه، فضلاً عن أنّها تبحث عن النّقطة التي يتجاوز فيها هذا النّصّ القوانين والمعايير التي وضعها لنفسه، فهي عملية تعتمد على تعريته وكشف أسرارها أو هتكها، وتقطع أوصاله وصولاً إلى أساسه الذي يستند إليه⁵.

وسوف نطبّق هذه الإستراتيجية على قصة موسى القرآنية، انطلاقاً من مبدئين أساسيين قرّنا اعتمادهما دون غيرهما من المبادئ والأسس الخاصّة بها: المبدأ الأوّل: هو البحث عن التناقضات الواردة في

1- أبو زيد نصر حامد، النّصّ والسلطة والحقيقة: إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، ط5، الدّار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، 2006، ص67.

2- العمري مصطفى، فوبيا المقدّس: جدليّة المعرفة وخصام السائد، ط1، بيروت، دار الفارابي، 2019، ص223.

3- ارتأينا أن نستخدم مصطلح "إستراتيجية" بدلاً من "منهج"، حرصاً على عدم تجاوز مقولات دريدا، وإن كان الآخرون قد فعلوا ذلك، فقد رأى هذا الأخير أن التّفكيك ليس منهجاً ولا يمكن تحويله إلى منهج. أنظر: دريدا جاك، الكتابة والاختلاف، ط2، تر. كاظم جهاد، الدّار البيضاء، دار توفيق للنّشر، 2000، ص61.

4- حمّودة عبد العزيز، المرايا المحدّبة، الكويت، عالم المعرفة، 1978، ص267.

5- اليسيري عبد الوهاب، "دريدا في القاهرة: التّفكيكية والجنون"، جاك دريدا والتّفكيك، ط1، تح. أحمد عطية، بيروت، دار الفارابي، 2010، ص169.

هذه القصة، فالتفكيكية ترى أنّ النصوص كلّها، ولا سيّما الدنيّة، تحتوي على تناقضات لا يمكن حسمها وأفكار متسقة بشكل ظاهريّ، ولكنّها متعارضة بشكل فعليّ، ويتحرّر النصّ من الثّبات والمركزيّة بالكشف عن هذه التناقضات، ويسقط في قبضة التّسبيّة والصّيرورة¹. أمّا المبدأ الثّاني: فهو دراسة التّناصّ في القصة، إذ أنّ النصّ، من المنظور التّفكيكيّ، هو أثر أو صدى للنّصوص السّابقة، أي أنّه لا يمتلك هويّة محدّدة واضحة². ومن خلال هذين المبدئين، سنحاول تقديم قراءة جديدة لقصة موسى، تتجاوز الفهم المسبق والمناخ الميتافيزيقيّ المسيطر عليها.

ملاحظة: إنّ النصّ القرآنيّ وحدة مترابطة غير قابلة للتّجزئ، وعلى الرّغم من أنّ دراستنا تتمحور حول الآيات التي تسرد قصة موسى، فإنّها لن تنعزل عن الآيات الأخرى انعزلاً تامّاً.

2- الفصل الأوّل: رصد التناقضات في قصة موسى:

2-1- موسى بين النّبوة ونقيضها:

جاء في النصّ القرآنيّ قول الله: ﴿يا موسى إني اصطفيتك على النّاس برسالاتي وبكلامي﴾³، وهذا يعني أنّ الله قد فضّل موسى على النّاس فاختره نبياً، ولكننا إذا تتبّعنا قصة موسى في القرآن، سنجد أنّه اتّسم بصفات تتناقض تناقضاً تامّاً مع الصّفات التّبويّة. وفيما يأتي، بعض هذه الصّفات:

• القتل:

إنّ القصة القرآنيّة تُظهر موسى قاتلاً، إذ أنّه صادف في مدينته رجلين يقتتلان، وكان واحد منهما ينتهي إلى طائفته فاستغاثه، فاستجاب موسى لاستغاثته وهبّ إلى خصمه فقتله: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه فوكزه موسى فقضى عليه﴾⁴.

ويذهب البعض إلى تبرير جرم موسى، فيرى أنّه لم يقصد القتل وإنّما الوكز، والوكز لا يجيء بغرض القتل. وهذا قول حقّ، فالوكز هو "الضّرب بجُمع اليد"⁵، وهنا يظهر التّناقض بين الفعل المُستخدم في النصّ والنتيجة المترتبة عليه. وعلى أيّة حال، فإنّ موسى باعتدائه على الرّجل قتله، والقتل بغير حقّ من المعاصي الكبرى التي نهى عنها النصّ القرآنيّ. وقد يصرّ البعض على تبرير جرمه، فيرى أنّ ما أقدم عليه موسى كان قبل النّبوة، وعليه، لا يتناقض فعله مع عصمة الأنبياء ولكن هل يختار الله عادة القتل ليكونوا أنبياءه؟!

1- المسيري عبد الوهاب، "دريدا في القاهرة: التّفكيكية والجنون"، مرجع سابق، ص 169.

2- المرجع نفسه، ص 166.

3- الأعراف: 144.

4- القصص: 15.

5- مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ط 2، القاهرة، المكتبة الإسلاميّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، 1993، ص 1053-

ويبدو أنّ موسى كان متعطّشاً إلى القتل حتّى بعد توبته، وقد تجلّى ذلك في العقاب الذي فرضه على قومه بعد أن اتّخذوا العجل إلهً دون إلهه، إذ قال: ﴿يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتّخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذالكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنّه هو التّوّاب الرّحيم﴾¹. إذًا، وكما هو ظاهر، حدّد موسى التّوبة بالقتل²، فيا لهذه التّوبة العجيبة! هل يجب على المذنب أن يُقتل لكي تُقبل توبته؟ ألم يُذنب موسى ويظلم نفسه بقتل الرّجل المصريّ؟ فكيف يكتفي بالتّوبة الشّفهيّة الّتي لا تُلزمه أيّ عقاب، ولا يكتفي بذلك لقومه؟ ولماذا سيقبل الله توبة كهذه ويرفض أن تكون توبة القوم إلّا بالقتل؟ وأيهما أفضح: أن يشرك المرء برّبّه ثمّ يتوب، أم أن يقتل نفساً بغير حقّ ثمّ يتوب؟

إنّ الله قد أمر بالقصاص ممّن قتل وليس ممّن أشرك به ثمّ تاب. وعليه، إنّ العقاب الذي فرضه موسى على قومه، هو العقاب الذي كان من المفترض أن يطبّق عليه هو لكنّه تملّص منه. إنّه معنيّ بالعقاب أكثر من قومه.

ومن الغريب أن يصبح موسى رمزاً للصّبر ويضرب به المثل، فالنّصّ القرآني لا يُظهر هذا، إنّما يظهر نقيضه، إذ لا يبدو موسى رجلاً صبوراً، فهو سرعان ما يغضب ويقتل ويأمر بالقتل ويصدر الأحكام المسبقة. لقد كان رجلاً متسرّعاً، وهذا ما سنبيّنه في النّقطة التّالية.

• التّسرّع:

لم يُظهر لنا النّصّ القرآني أنّ موسى قد حاول استيضاح الأمر قبل التّدخّل في النّزاع الحاصل، إذ نراه يستجيب لاستغاثة الرّجل المنتهي إلى شيعته قبل أن يتحقّق من أمر النّزاع ومن مظلوميّة الرّجل، وهذا ما يدلّ على تسرّعه وقلة حكمته. ولو لم يكن متسرّعاً فيما أقدم عليه، ما كان ليندم ويستسمح ربّه بعد أن فعل ما فعل، ويبدو أنّه لم يكن متسرّعاً في أفعاله فقط، بل في أحكامه أيضاً، وهذا ما نلتّمسه في قصّته مع الخضر فقد كان متسرّعاً في حكمه عليه مرّة بعد مرّة، لا يفقه الحكمة الكامنة في أفعاله، فحين خرق السّفينة استنكر فعله ولامه وحين قتل الغلام فعل الشّيء نفسه وكذلك حين أقام الجدار³، وإنّ كان تسرّعه في القتل يدلّ على قلة حكمته، فإنّ تسرّعه في الحكم يدلّ على قلة صبره، وهذا ما جعل الخضر يعيّره به.

هنا انتهت قصّة موسى مع الخضر، ولا ندري إن كان قد اقتنع بتبريراته أم لم يقتنع، ولكنّ اقتناعه بهذه التّبريرات دون تمحيص أو مناقشة سيضعنا، إن حصل، أمام نوع جديد من التّسرّع، وهو التّسرّع في التّصديق أو الاقتناع لأنّ بعض التّبريرات الّتي أتى بها الخضر تستدعي التأمّل والمساءلة، ومنها: تبريره لقتل

1- البقرة: 210.

2- جاء في تفسير ابن كثير: "إنّ توبتهم أن يقتل كلّ رجل منهم كلّ من لقي من ولد ووالد، فيقتله بالسيف، ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن": الدمشقيّ إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2، ج 1، تح. سامي بن محمّد السّلامة، الرّياض، دار طيبة، 1999، ص 262. وجاء في تفسير البغويّ: "قال: (فتوبوا) فارجعوا (إلى بارئكم) خالركم. قالوا: كيف نتوب؟ قال: (فاقتلوا أنفسكم)، يعني ليقتل البريء منكم المجرم": البغويّ الحسين بن مسعود، تفسير البغويّ: معالم التّنزيل، 1، مج 1، تح. محمّد النّمّر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، الرّياض، دار طيبة، 1991، ص 96.

3- راجع: الكهف: 71، 74، 77.

الغلام، إذ قال: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾¹، فإذا كان هذا السبب الذي ذكره لقتل الغلام صحيحًا مقبولًا عند الله، "كان من الواجب على الخضر أن يقتل كل كافر أبواه مؤمنان، أو كل كافرين ابنهما مؤمن"².

• العنصريّة:

ما التّسرّع الذي دفع موسى إلى قتل الرّجل إلا نتيجة لعنصريّته، فقد بدا أنّه حاقد على قوم فرعون ومتعصّب لقومه من بني إسرائيل، ولكنّ المفسّرين حاولوا تبرئته من هذه العنصريّة ومن ذلك الجرم، فجعلوا منه بطلاً يدافع عن الظّلم بدلاً من كونه قاتلاً ظالماً. وفي الحقيقة، لم يذكر النّصّ القرآنيّ شيئاً من هذا، فهو لم يكشف عن الظّالم والمظلوم في القصّة ولم يستوضح موسى الأمر كما سبق أن أشرنا، بل كان مدفوعاً بأحقاده إلى القتل.

واللّافت في الأمر أنّ الرّجل المنتهي إلى طائفته قد عاد فاستنجده مرّة أخرى في يوم آخر، وهذا يفيد حسب المفسّرين الذين ذهبوا إلى القول بمظلوميّته بأنّه كان كثير التّزاعات والشّجار ولا يبتغي خيراً، وهذا ما أكّده موسى عندما قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾³، فإن كان الرّجل مظلوماً فعلاً، ما كان موسى ليقول له هذا الكلام وما كان ليندم على نجاته في المرّة الأولى وإتّما الذي أقحمه في هذا التّزاع فعلاً، أهواؤه العنصريّة لا غير.

وإنّ كان موسى قد قتل دفاعاً عن المظلوم وكرهاً للظّالم كما يدّعي بعض المفسّرين، فلماذا خاف؟ ألم يكن حرّاً به أن يواجه فرعون بالحقيقة، فيحدّثه عن ظلم الرّجل المصريّ وعن مظلوميّة الرّجل الآخر؟ ثمّ إنّ موسى هو الابن الذي تبناه فرعون بطلب من امرأته، فهل يُعقل ألاّ يسامحه على ما بدر منه؟ إنّ خوفه وهربه غير مبرّرين.

وثمة مسألة محيرة لا بدّ من الإشارة إليها في هذا الصّدّد، فمن الواضح أنّ موسى كان على علم بانتماؤه إلى بني إسرائيل، فلو لم يكن يعلم ما كان القرآن ليذكر طائفة كلّ من الرّجلين، وما كان موسى ليتدخّل في الشّجار بذلك التّسرّع وتلك الحميّة وقبل أن يستوضح الأمر حتّى، وهنا يكمن السّؤال: كيف علم موسى بأنّه ينتمي إلى بني إسرائيل؟ لقد شبّ في قصر فرعون وترعرع فيه⁴، ولم يشر النّصّ القرآنيّ إلى أنّه عرف نسبه قبل وقوع تلك الحادثة ولم يكن قد حصل تواصل بينه وبين ربّه بعد، فيعلمه هذا الأخير بنسبه. وعليه، كان من المفترض أن يعتبر نفسه مصريّاً وأن لا تأخذه الحميّة كما حصل، فهذا يدلّ على اضطراب في الحكمة وتناقض في الأحداث.

1- الكهف: 80.

2- الرّصافي معروف، كتاب الشّخصيّة المحمّديّة، ط5، بغداد، منشورات الجمل، 2011، ص696.

3- القصص: 18.

4- قد يقول البعض إنّ أخت موسى قد أعادته إلى بيت أمّه لأنّه نشأ هناك وعلم بالحقيقة، إلّا أنّ هذه العودة إلى البيت كانت من أجل الرّضاعة فقط، فما إن فطم حتّى عاد إلى قصر فرعون فتربّى فيه وليداً، وهذا ما يثبت قول فرعون نفسه بعد أن قدم إليه موسى ليهديه ف﴿قال ألم نركّبك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ (الشّعراء: 18).

• الخوف:

لقد كان موسى كثير الخوف، وقد ذكر خوفه في مواضع متعدّدة من القصة¹ ولكننا لن نتوقّف عندها كلّها وإنّما عند الأكثر تناقضًا، فبعد أن قتل موسى المصري ﴿أصبح في المدينة خائفًا يترقب﴾²، ولا ندري سبب هذا الخوف، وهو الابن المتبني لفرعون و﴿أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾³، لكنّه ظلّ خائفًا من عقاب فرعون فقرّر الهرب من مصر وظلّ على خوفه هذا حتّى بعد قدومه إلى بيت شعيب الذي قال له: ﴿لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾⁴. والغريب في الأمر هو ما جاء في الآية التي تلمّح مباشرة، إذ راحت ابنة الرجل تطلب من أبيها أن يستأجر موسى قائلة: ﴿إنّ خير من استأجرت القوي الأمين﴾⁵، هذا وقد كان موسى قد فرغ لتوّه من إخبارهم بما ارتكبه من جرم وما يشعر به من خوف، فهل تجاهلت الابنة جرمه وخوفه وهربه، وراحت تنعته بالقويّ الأمين فقط لأنّه ساعدها وسقى لها؟

ونرى خوفه الغريب يظهر مجدّدًا أثناء المواجهة التي جرت بينه وبين سحرة فرعون عندما ألقى السحرة حبالهم وعصيمهم وخيّل إليه أنّها تسعى، إذ ﴿أوجس في نفسه خيفة﴾⁶. إنّ خوفه هذا لا يتناقض مع شخص النبيّ فقط بل مع إيمانه المطلق أيضًا، فمن رسم الله طريقه وهداه إلى ما يفعل، ممّن يخاف؟ هل شكّ موسى في تدبير ربّه وفي قدرته على هزيمة أولئك السحرة؟ وهل كان الأمر يستدعي تذكيره بأنّه، أي موسى، ﴿الأعلى﴾ عليهم؟⁷

• الهرب:

لا يعنيننا هنا هروب موسى من فرعون بقدر ما يعنيننا هروبه من القصاص، ويبدو أنّ الله كان موافقًا على هذا الهروب بل سهّله عليه، إذ قال موسى حين قرّر أن يهرب: ﴿عسى ربّي أن يهديني سواء السبيل﴾⁸، وهو يعني بقوله هذا: "عسى ربّي أن يبيّن لي قصد السبيل إلى مدّين، وإنّما قال ذلك لأنّه لم يكن يعرف الطريق إليها"⁹، وقد بيّن له ربّه الطريق وساعده على الهرب بعد أن غفر له فعلته. وغريب كيف ساعد الله موسى على الهرب من القصاص وهو الذي دعا إليه، كما أشرنا سابقًا في أكثر من موضع في القرآن، إذ قال: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلّكم تتقون﴾¹⁰، ومن المفترض أنّ الله واحد في القرآن وأنّ أحكامًا كهذه لا بدّ من أن تنطبق على كلّ زمان ومكان.

1- راجع: التّمّل: 10. طه: 21، 45، 67. القصص: 18، 21، 25، 31.

2- القصص: 18.

3- يونس: 62.

4- القصص: 25.

5- القصص: 26.

6- طه: 67.

7- أنظر: طه: 68.

8- القصص: 22.

9- الطّبري محمد بن جرير، تفسير الطّبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، مج6، تح. بشّار معروف وعصام الحريستاني، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، 1994، ص17.

10- البقرة: 179.

• عقدة اللسان:

هناك أكثر من آية تشير إلى هذه العلة التي عانى منها موسى، فقد جاء في سورة طه قوله: ﴿واحلل عقدة من لساني﴾¹، وجاء في سورة القصص قوله: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي﴾²، وعلينا ألا ننسى أننا نتحدث عن نبي لا عن إنسان عادي، فإن كان هذا النبي يفتقر إلى الفصاحة أيضاً، فما الذي يميزه إذًا؟ إنه قاتل، متسرّع، متخوّف، عليل اللسان... فلماذا اصطفاه الله من دون الناس وهو لا يختلف عنهم بشيء؟ أليس من المفترض أن يتحلّى الأنبياء بصفات عظيمة، يتميّزون بها عن سائر الناس، فيختارهم الله بسببها؟ فأين موسى من هذه الصفات العظيمة؟

• الاستسلام:

إنّ خروج موسى وقومه من مصر دليل على استسلامه³، فبعد أن أبى فرعون وقومه الاستجابة له، رغم كلّ ما أتى به من براهين ومعجزات، لم يعد بوسعه سوى الاستسلام والخروج نحو الأرض المقدّسة⁴، إلا أنّ حادثة انشقاق البحر مؤهت هذه الهزيمة بل جعلت المتلقّي يتوهّم أنّها انتصار عظيم، كما لو أنّ الخلاف الذي وقع بين موسى وفرعون كان خلافاً شخصياً وليس دينياً!

هناك رأي يقول: "حين تمكّن موسى وأتباعه من الفرار من قبضة فرعون وجنوده وجدوا أنفسهم على ضفة النيل والماء من أمامهم والجيش الجرّار وراءهم، عند هذه النقطة من القصة تتبادر إلى ذهن المخاطب فكرتان: إمّا استسلام موسى وأتباعه، وإمّا موتهم وإبادتهم عن بكرة أبيهم، لكنّ القرآن الذي رفع الحجب عن هذه المسألة في أكثر من مكان، سجّل للقصة نهاية غير عادية (...). هذه النهاية غير المتوقّعة وغير المنتظرة، لا تتناسب والحسابات العادية، ممّا حدا بفرعون أن يعلن وهو في حالة الغرق أنّه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل"⁵.

نلاحظ هنا أنّ حادثة الخروج قد حوّلت التّركيز في قصة موسى من الاستسلام التّبويّ إلى الاستسلام الوجودي، وهكذا أصبحت نجاة موسى من فرعون في الفهم العامّ انتصاراً عليه، وغاب عن الكثير أنّ هذا الانتصار هو انتصار وجودي وليس نبويّاً، والمبالغة في التّركيز عليه انحرافٌ عن جوهر القصة إذ أنّ موسى لم يأت للقضاء على فرعون، بل أتى لهدايته، وعليه، فإنّ هلاكه لا يُغيّر شيئاً من واقع الهزيمة التّبويّة. يجب

1- طه: 27.

2- القصص: 34.

3- قد يرى البعض أنّ موسى كان يعزم على الخروج مع قومه منذ البداية، وأنّ هذا ما أمر به الله حين قال: ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا نعدّ بهم﴾ (طه: 47)، إلا أنّ هذه الآية لم تذكر فعل الخروج بل الإرسال. وكيف يخرج الأخوان مع قومهما وهما لم يحقّقا بعد الغاية التي أرسلنا من أجلها، وهي هداية فرعون؟ والرّاجح هنا أنّ فعل الإرسال قد أريد به تخليص بني إسرائيل من براثن فرعون الذي سخرهم واستعبدهم، ولهذا أمر الله موسى وهارون أن يطلبوا منه أن يرسلهم معهم، أي أن يفكّ قيدهم ويريحهم من ظلمه.

4- قد يعترض البعض قائلاً إنّ الخروج من مصر كان أمراً إلهياً وليس قراراً شخصياً اتّخذه موسى، إلا أنّ هذا لا يغيّر شيئاً من واقع المسألة فالخروج هنا استسلام سواء أكان أمراً من الله أم قراراً من موسى.

5- عبّاس دلال، القرآن والشعر، ط1، بيروت، دار الموسم، 2009، ص154.

ألا ننسى أن موسى لم يستطع تحقيق غايته الأساسية التي بُعث من أجلها وبسبب ذلك غادر مصر، فضلاً عن أن إيمان فرعون في اللحظات الأخيرة قبل موته لا يعد انتصاراً، فهذا الإيمان باطل لا ينفع، وهذا ما ذكره القرآن بقوله: ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾¹، ولو أن موسى قد عاد إلى مصر بعد هلاك فرعون وأرسي فيها دعوته، ما كنا لنصف خروجه بالاستسلام، إلا أنه لم يعد بل تابع خروجه على الرغم من هلاك فرعون ولذلك، فإن ما نودّ قوله باختصار هو أن ذلك الحدث الخارق الذي حُسب انتصاراً لموسى، لم يقع إلا ليسهل عليه خروجه واستسلامه، أمّا دعوته الدينية التي أرسل من أجلها فقد باءت بالفشل.

• الفشل:

من يتتبع قصة موسى سيلاحظ أن الفشل كان رفيقه الدائم، فحين حاول أن يهدي فرعون وقومه فشل رغم ما آتاه من معجزات، إذ قالوا له: ﴿مهما تأتانا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾²، وحتى إيمان فرعون في اللحظة الأخيرة كان بلا الفائدة، فقد فات الأوان عليه كما سبق أن ذكرنا. أمّا قوم موسى فقد ضلّوا مراراً وتكراراً وكانوا ضعيفي الإيمان، فما إن غاب عنهم موسى أياماً حتى اتخذوا العجل من بعده وهم ظالمون³. ولما غفر لهم، عادوا مجدداً فقالوا: ﴿يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾⁴، وقد انتهت القصة وهم على عصيانهم وترددهم، وسوف نتوقف قليلاً عند هذه النهاية لتبين أكثر فشل هذا النبي وظلم قومه.

بعد خروج موسى مع قومه من مصر ووصولهم إلى الأرض المقدسة، قال مخاطباً إياهم: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾⁵، ولكنهم عصوا أمره وأبوا الدخول، إذ قالوا: ﴿يا موسى إن فيها قومًا جبّارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾⁶، ثم أردفوا جازمين: ﴿يا موسى إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾⁷، عندها شعر موسى بالغضب فجعل ينادي ربّه قائلاً: ﴿ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾⁸، فأجابه ربّه: ﴿إنّها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾⁹. وكانت هذه هي الآية الأخيرة في القصة، أي أنّها الآية الختامية التي تنتهي بها قصة موسى في القرآن.

1- يونس: 91.

2- الأعراف: 132.

3- أنظر: البقرة: 19.

4- البقرة: 56.

5- المائدة: 21.

6- المائدة: 22.

7- المائدة: 24.

8- المائدة: 25.

9- المائدة: 26.

ويبدو أنّ السيّد قطب كان سعيداً بهذه النهاية ومأخوذاً بها، فنراه يقول: "تري كان هناك ختام فنيّ أجمل من مشهد التيه في نهاية ذلك الجهد الجهيد وبعد ذلك التردّد الشديداً؟"¹، وربّما غاب عن السيّد قطب أنّ موسى لم يكن خصماً لقومه، بل نبياً لهم، والنبّي لا يسعى إلى تحديّ قومه ولا يضرر العداء لهم أو التيه والهلاك، بل إنّه جاء ليخلصهم من ضلالهم ويهديهم، وإذا لم يستطع تحقيق ذلك فهذا يعني أنّه فشل. فما الجميل في أن تكون نهاية موسى هي الفشل؟ وما الجميل في أن يذهب "الجهد الجهيد" لذلك النّبّي أدراج الرياح؟

إنّ موسى، حسبما جاء في هذه القصّة، قد فشل في هداية فرعون، ثمّ فشل في هداية قومه فطلب الفصل بينه وبينهم، وهذا الفصل كانت نهاية القصّة. ويتبيّن لنا أنّ كلّ ما جاء به موسى من أحداث خارقة للطبيعة، لم يوصله إلى غايته. وعليه، تخسر هذه الأحداث التي سُمّيت "معجزات"، قيمتها المعنويّة والفنيّة والميتافيزيقيّة، فإنّ عجزت (المعجزات) عن تحقيق الأهداف المرجوة منها، فأيّ قيمة تبقى لها وأيّ دور؟ ويحاول جورج طرابيشي أن يجيب عن هذا السؤال الأخير، فيقول: "ولكن من قال إنّ الإيمان أو عدمه هو في أيديهم؟ (يقصد المشركين والكافرين)؟ ومن قال إنّ لهم حرّيّة الاختيار حتّى يقتنعوا أو لا يقتنعوا ببرهان المعجزة؟"²، ثمّ يضيف قائلاً: "المشيئة الإلهيّة، لا المعجزة، هي التي تتحكّم بإيمان الناس أو عدمه"³، وقد استشهد بالآية القرآنيّة الآتية تأييداً لفكرته: ﴿ولو أنّنا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلّا أن يشاء الله﴾⁴.

ولا ندري، هل أنّ ظنّ طرابيشي بفلسفته الجبريّة هذه هو حلّ المشكلة؟ إنّه، والحقّ، زادها تناقضاً فوق التناقض، فإنّ كُنّا في الحالة الأولى نسأل عن جدوى المعجزة، صرنا هنا نسأل عن سبب وجودها. فلماذا وُجدت هذه المعجزات إن لم يكن المشركون والكافرون أحراراً في اختياراتهم، وما دام فعل الإيمان محصوراً بالمشيئة الإلهيّة؟ لماذا تجاوز الله "سنّته"⁵ في الخلق إن كان الخلق لا يؤمن إلّا بمشيئته؟ هل كان يستعرض قواه الميتافيزيقيّة مثلاً؟

ما نودّ قوله في النهاية، هو أنّ شخصيّة موسى القرآنيّة تحتوي على الكثير من الصّفات التي تتناقض مع النبوّة، أي مع ما يجب أن يكون عليه فإنّ موسى فهو وكما أظهرته لنا آيات القرآن: قاتل وعنصريّ ومتسرّع ومتخوّف وهارب ومستسلم وعليل اللسان وفاشل. ونحن نعلم أنّه بشر وليس ملاكاً، ولكن إن كان للأنبياء صفات كهذه، فكيف نميّز بينهم وبين سائر البشر؟ وما الذي دفع الله إلى اختيارهم؟

1- قطب سيّد، التصوير الفنيّ في القرآن، ط17، القاهرة، دار الشروق، 2004، ص174.

2- طرابيشي جورج، المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ط1، بيروت، دار السّاقى، 2008، ص23.

3- المرجع نفسه، ص24.

4- الأنعام: 111.

5- جاءت في سورة الفتح الآية الآتية: "ولن تجد لسنة الله تبديلاً" (23)، إلّا أنّ المعجزات المذكورة في النّص القرآنيّ هي في حقيقة الأمر تبديلٌ لسنة، وهذا تناقض آخر يستحقّ بحثاً مستقلاً.

2-2- تناقضات في الأقوال والأفعال:

لم يقتصر التناقض في قصة موسى على الصفات النبوية وحدها وإنما طال الأقوال والأفعال كذلك، فكثيراً ما نصادف قولاً أو فعلاً ورد في آية معينة يتناقض مع ما جاء في آية أخرى، وسنوضح ذلك فيما يأتي:

• التناقض بين استجابة الله وطعن فرعون:

لقد طلب موسى من ربه أن يحلل عقدة لسانه قبل ذهابه إلى فرعون، إذ قال: ﴿واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي﴾¹، فاستجاب ربه لطلبه وقال: ﴿قد أوتيت سؤالك يا موسى﴾²، ولكنّه حين قدم إلى فرعون وقومه وعرض عليهم آيات ربه، أخذوا يضحكون منها ثم أخذ فرعون يطعن به ويسخر من قلة بيانه وعقدة لسانه، فيقول مخاطباً قومه: ﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين﴾³، فإن كان الله قد استجاب لطلب موسى، فلماذا راح فرعون يعيبه بما زال عنه واختفى منه؟

وقد طرح الرّازي هذه المسألة في كتابه "تفسير الفخر الرّازي" وحاول الإجابة عنها من وجهين "الأول، أنّ فرعون أراد بقوله (ولا يكاد يبين) حجّته التي تدلّ على صدقه فيما يدّعي ولم يرد أنّه لا قدرة له على الكلام، والثاني أنّه عابه بما كان عليه أولاً، وذلك أنّ موسى كان عند فرعون زماناً طويلاً وفي لسانه حبسة، فنسبه فرعون إلى ما عهده عليه من الرّتة لأنّه لم يعلم أنّ الله تعالى أزال ذلك العيب عنه"⁴.

أمّا الوجه الأول من قوله، فإنّه غير مُبرّر ويخالف ما أجمع عليه المفسّرون لأنّ فرعون يحاول في هذه الآية أن يعقد أمام قومه مقارنة بينه وبين موسى، بين سلطانه وأملاكه وبين وضاعة موسى وعلله. وإنّ هذه المقارنة كما هو جليّ، تتطرّق إلى الصفات الظاهرية التي تُميّز كلّاً من الطرفين ولا تتطرّق إلى فلسفتها أو أفكارهما الدينيّة.

وقد ذهب معظم المفسّرين، إن لم يكن جميعهم، إلى الرّبط بين فعل البيان المذكور في الآية والعلّة التي شكّا منها موسى في سورة طه. جاء في تفسير الطّبري: "وقوله: (ولا يكاد يبين)، يقول: ولا يكاد يبين الكلام من عيّ لسانه"⁵، وجاء في تفسير ابن كثير: "(ولا يكاد يبين) يعني: لا يكاد يفصح عن كلامه، فهو عيّي حصر"⁶. وجاء في تفسير القرطبي: "(ولا يكاد يبين) يعني ما كان في لسانه من العقدة"⁷. وجاء في تفسير البغوي: "(ولا يكاد يبين) يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه"⁸.

1- طه: 27-28.

2- طه: 36.

3- الرّخرف: 52.

4- الرّازي محمّد، تفسير الفخر الرّازي: المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، ج27، بيروت، دار الفكر، 1981، ص220.

5- الطّبريّ محمّد بن جرير، م.س، ص528.

6- الدّمشقيّ إسماعيل بن عمر بن كثير، م.س، ج7، ص231.

7- القرطبيّ محمّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: والمبيّن لها تضمّنه من السنة وآي الفرقان، ط1، ج19، تح. عبد الله بن عبد المحسن التّركي، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، 2006، ص60.

8- البغويّ الحسين بن مسعود، مرجع سابق، مج7، ص217.

أما إذا كان فرعون يطعن موسى بما كان يعيبه في الماضي من زفة، كما يشير الرّازي في الوجه الثاني من قوله، فإنّ الأجدر به أن يعتمد صيغة الماضي في طعنه وليس المضارع، ثمّ كيف لم يعلم أنّ ذلك العيب قد زال عنه؟ ألم يكن يُنصت إليه وهو يتكلّم؟ وهل يُعقل أنّه لم يلاحظ الاختلاف بين لسانه القديم العليل ولسانه الجديد الفصيح؟

وعلى أيّة حال، سواء استجاب الله إلى طلب موسى أو لم يستجب، فإنّ التناقض لا يفارق هذه الجزئية من القصّة. فإنّ كان قد استجاب وحلّ عقدة لسانه، فإنّ استجابته هذه لم تسفر عن نتيجة شافية إذ لم يستطع موسى أن يقنع فرعون على الرّغم من انحلال تلك العقدة، وهذا ما يؤكّد مجدداً عقم المعجزات وعدم جدواها في هذه القصّة. وإنّ لم يستجب إلى طلبه، فهذا يعني أنّه كذب أو نسي، وهذا لا يتطابق مع الطّبيعة الإلهية المذكورة في القرآن.

• تناقض آخر في القصيّة نفسها:

جاء على لسان موسى في سورة طه قوله: ﴿واحلل عقدة من لساني﴾¹، بينما جاء في سورة القصص قوله: ﴿وأخي هارون هو أفصح منّي لساناً فأرسله معي﴾²، ونجد هنا تناقضاً في طلب موسى بين سورة وأخرى، ففي السّورة الأولى طلب من ربّه أن يحلّل عقدة من لسانه ولم يطلب منه أن يُرسل معه أخاه هارون لأنّه أفصح لساناً، بل ليكون وزيراً له، يشدد به أزره، ويشركه في أمره: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي، أشدد به أزري، وأشركه في أمري﴾³، إذًا فقد طلب هنا وزارة هارون لا فصاحته، إذ لا حاجة له إلى فصاحته ما دام قد طلب ما هو أنجع. أمّا في السّورة الثانية فيتبيّن لنا أنّه يستغني عن طلبه الأوّل ويستعيض عنه بفصاحة هارون، وإلاّ فما حاجته إلى فصاحة أخيه ما دام قد طلب من ربّه أن يحلّل عقدة من لسانه؟

• بين الملأ وفرعون:

جاء في سورة الأعراف: ﴿فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين، قال الملأ من قوم فرعون إنّ هذا لساحر عليم، يريد أن يُخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون؟ قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين﴾⁴.

ثمّ جاء في سورة الشعراء: ﴿فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين، قال للملأ حوله إنّ هذا لساحر عليم، يريد أن يُخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون؟ قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين﴾⁵.

نلاحظ هنا التناقض الصّارخ بين النّصين، فكلاهما يروي الحادثة نفسها، إلاّ أنّ المتكلّم في الأوّل كان الملأ الذي راح يتهم موسى بالسّحر، فصار المتكلّم في الثاني، أي المتهم، فرعون! وهذا تناقض لا يجملّه أيّ ترقيع.

1- طه: 27.

2- القصص: 34.

3- طه: 29، 30، 31، 32.

4- الأعراف: 107، 108، 109، 110، 111.

5- الشعراء: 32، 33، 34، 35، 36.

• التناقض بين آيات الخروج:

جاءت في سورة طه الآية الآتية: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُم طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾¹، وكما هو جليّ، فإنّ الله يطلب من موسى أن يضرب البحر بعصاه، كما حدث في القصة لاحقاً، ليتسنى له الخروج من مصر مع قومه. وقد جاء في تفسير البغويّ: سرّ بهم ليلاً من أرض مصر، واجعل لهم طريقاً في البحر بالضرب بالعصا، يابساً ليس فيه ماء ولا طين². إذًا فإنّ هذه الآية تُعدّ خطة إلهية للخروج.

ثمّ جاء في سورة الشعراء: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالِ أَصْحَابِ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَدْرِكُونَ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ، فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ، وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ، وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾³.

نلاحظ في هذا النّص، أنّ الأمر الإلهيّ الذي ينصّ على ضرب البحر قد صدر هنا للمرّة الأولى، فإنّ كان قد صدر سابقاً، بحسبما تشير الآية في سورة طه، فلماذا انتظر موسى أمر ربّه للمرّة الثانية ولم يباشر بالضرب من تلقاء نفسه؟ وتجدر الإشارة إلى أنّ موسى قال في هذه الآيات "سيهديني" ولم يقل "هداني"، أي أنّه لم يكن على اطلاع مسبق بالخطة الإلهية، ثمّ إنّ الآية في سورة طه تُبيّن أنّ الأمر الإلهيّ قد جاء ليسهل على موسى وقومه الخروج من مصر، أمّا الآيات في سورة الشعراء فتُبيّن أنّ الأمر الإلهيّ كان طارئاً، وأنّه صدر بعد أن تراءى الجمعان فقط، وذلك لمساعدة موسى وقومه على الفرار من فرعون.

• تناقض آخر في القضية نفسها:

جاءت في سورة الإسراء الآية الآتية: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾⁴، والمقصود هنا أنّ فرعون أراد أن يُخرج بني إسرائيل من أرض مصر فأصابه الغرق ومن معه، وهذا ما يتوافق مع تفسير البغويّ، إذ قال: أراد فرعون أن يستفزّ موسى وبني إسرائيل، أي يخرجهم من أرض مصر فأغرقه الله⁵، غير أنّ فرعون -حسبما جاء في الآيات الأخرى- لم يرد أن يُخرج بني إسرائيل من أرضه بل إنّّه لاحقهم عندما حاولوا الخروج، وهذا ما يتناقض بوضوح مع الآية الواردة في سورة الإسراء. وعلى الرّغم من أنّ تفسير الآية جليّ لا يحتل التّأويل، فإنّ بعض المفسّرين الذين لاحظوا هذا التناقض، ذهبوا إلى ترقيعه فحمّلوا فعل الاستفزاز الوارد في الآية دلالات أخرى كالقتل، ولكن إنّ كان المقصود في الآية القتل وليس الإخراج، كان على النّص أن يستخدم الحرف "في" بدلاً من الحرف "من" فوجب أن يقول: "أن يستفزّهم في الأرض"، وليس "أن يستفزّهم من الأرض".

1- طه: 77.

2- البغويّ الحسين بن مسعود، مرجع سابق، مج 5، ص 286.

3- الشعراء: 61، 62، 63، 64، 65.

4- الإسراء: 103.

5- البغويّ الحسين بن مسعود، مرجع سابق، مج 5، ص 135.

توجد تناقضات غير هذه، شبيهة بها ولكن ليس بوسعنا أن نذكرها جميعها في هذا البحث القصير، وما نودّ قوله في النهاية هو أنّ هذه المعجزة اللغوية، أي القرآن، لم تخلُ من التناقضات التي نرى في قصة موسى، أنّها من المسكوت عنها وقد كشفت عن اضطراب جاد يهدّد وحدة النصّ والمنطق الذي بُني وفقه.

3- الفصل الثاني: رصد التناصّ في قصة موسى:

3-1- مفهوم التناصّ ومشروعيته في النصّ القرآني:

التناصّ مصطلح صاغته الناقدة جوليا كريستيفا سنة 1969 لتعرّف به الآثار المتبادلة بين النصوص وتفاعلها داخل نصّ معيّن على أساس أنّ كلّ نصّ يتضمّن عناصر من نصوص سابقة مغايرة يتمثلها ويحوّلها داخله بطرق تعبيرية متعدّدة¹.

ومفهوم التناصّ، كما يشير مجمع اللغة العربية في القاهرة، أوسع من فكرة تأثر الشّاعر أو الكاتب بغيره ومن فكرة السرقات الأدبية، وإنّما هو أقرب إلى دراسة مكوّنات النّسق النّصّي نفسه وكيفية تحوّل نسق أدبيّ أو عدد من الأنساق الأدبية إلى شكل جديد².

ويرفض كثيرون تطبيق هذا المصطلح على النصّ القرآنيّ إذ يرون في ذلك خطورة، فهذا النصّ المقدّس -بحسب ما يعتقدون- لا يمكن أن يكون مجرد صدى لنصوص قديمة، ولا سيّما إذا كانت تلك النصوص القديمة نصوصاً ميثولوجية، إلّا أنّ هذا المفهوم الذي جاء به التناصّ، يشبه بعض الشّيء التّهم التي حاولت قريش أن تطعن بها قداسة النصّ القرآنيّ، فما إن جاء محمّد بهذا النصّ حتّى كذّبه قريش، وقالت إنّ صاحبه قد تعلّمه من بشر، وقد أتى القرآن على ذكر هذا في سورة النحل، وحاول أن يدحض التّهمة في الآية الآتية: ﴿ولقد نعلم أنّهم يقولون إنّما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجميّ وهذا لسان عربيّ مبين﴾³.

وقد نجح معروف الرّصافي في الرّد على هذه الحجّة وأبرز ضعفها، فقال: "المفهوم من هذا الجواب أنّ الرّجل الذي اتّهموه بأنّه يعلم محمّداً أعجميّ غير عربيّ، وأنّ ترى أنّ هذه الحجّة غير واردة على التّهمة لأنّهم لم يتّهموه بنظم القرآن وسبك عباراته لمحمّد، وإنّما اتّهموه بأنّه يعلمه المعاني ثمّ يصوغها محمّد بلسان عربيّ مبين. وتعليم المعاني ممكن ولو بلغة فيها لكنة أعجمية، فلم يكن هذا الجواب دافعاً للتّهمة الموجهة إلى محمّد"⁴.

وعلى آية حال، نحن لا نرمي إلى جعل التناصّ تهمة ندين بها النصّ القرآنيّ لأنّه مفهوم أوسع وأعمق من ذلك كما سبق أن ذكرنا، وإنّما نريد أن نسلط الضّوء على الآثار التي استفاد منها هذا النصّ في قصة موسى وكيفية توظيفها في شكل وصيغة جديدين.

1- مجمع اللغة العربية، معجم مصطلحات الأدب، ج 1، تح. سيرة شعلان، القاهرة، 2007، ص 49.

2- المرجع نفسه، ص 49.

3- النحل: 103.

4- الرّصافي معروف مرجع سابق، ص 78.

3-2- التّقاطع مع النّص التّوراتي:

من يقرأ "سفر الخروج"، وهو الكتاب الثّاني من التّوراة، سيلاحظ مدى التّطابق بينه وبين الآيات القرآنيّة التي تسرد قصّة موسى فالأحداث نفسها بدءًا بولادته ورميه في النّيل ثمّ قتله المصريّ وهروبه إلى مَدِين، لنزول الوحي عليه، فذهابه إلى فرعون مع أخيه حتّى خروجه من مصر مع قومه، ثمّ اتّخاذهم العجل وشتاتهم بعد ذلك، وحتّى المعجزات جاءت نفسها كمعجزة انشقاق البحر ومعجزة المنّ والسّلوى ومعجزة تفجير الماء من الصّخرة... وغيرها.

وفيما يلي، سنعرض حدث الخروج من مصر كما جاء في النّصين التّوراتي والقرآني ثمّ نقارن بينهما، وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

جاء الحدث في القصة التّوراتيّة طويلًا مفصّلًا: "فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريّون راحلون وراءهم ففزعوا جدًّا وصرخ بنو إسرائيل إلى الرّب (...). فقال موسى للشّعب لا تخافوا قفوا وانظروا خلاص الرّب الذي يصنعه لكم اليوم فإنّه كما رأيتم المصريّين اليوم لا تعودون ترونهم أيضًا إلى الأبد (...). ومدّ موسى يده على البحر فأجرى الرّب البحر بريح شرقيّة شديدة كلّ اللّيل وجعل البحر يابسة وانشقّ الماء، فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم، وتبعهم المصريّون (...). فمدّ موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصّبح إلى حاله الدّائمة (...). وغطّى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر، لم يبق منهم ولا واحد"¹.

أمّا في القصة القرآنيّة فقد جاء الحدث مختصرًا: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ، فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ إِضْرِبْ بَعْصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ، وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ، وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾².

وتجدر الإشارة إلى أنّ معجزة انشقاق البحر في التّوراة أكثر واقعيّة منها في القرآن، إذ لا يغلب عليها الطّابع الميتافيزيقيّ الخارج كلّ الخروج على الطّبيعة، فالمسبّب لهذه الحادثة كما رأينا في النّص التّوراتيّ السّابق، هو الرّيح وليس العصا. وثمة اليوم نظريّات علميّة تحاول تفسير هذه الظّاهرة وفق المنطق الفيزيقيّ، وقد خصّصت صحيفة الغارديان مقالًا حول هذا الصّدّد، أوردت فيه رأيًا لأحد العلماء يقول: "يمكن فهم انفصال المياه من خلال ديناميكيّات الموائع، فالرياح تحرّك المياه بطريقة تتوافق مع القوانين الفيزيائيّة، ممّا يخلق ممرًا آمنًا للمياه على الجانبين ثمّ يسمح فجأة للمياه بالاندفاع مرّة أخرى"³.

ومهما يكن، يتبيّن لنا أنّ الحدث في القصّتين واحد، إلّا أنّ القصة التّوراتيّة تتضمّن المزيد من التّفاصيل، أمّا الاختلافات بين الحداث فليست جوهريّة، أي إنّها لا تشكّل انحرافًا عن الجوهر، فسواء أشقّ موسى

1- الخروج 14: 10، 13، 21، 22، 23، 27، 28.

2- الشّعراء: 61، 62، 63، 64، 65، 66.

3- Goldenberg Suzanne, *The Guardian*: "A miracle! Science claims it has figured out how sea was parted for Israelites", 2010, par 6.

البحر بعصاه أم بوساطة الرِّيح، وسواء كان ما شقّه هو البحر الأحمر أم نهر النيل¹، فإنّ هذا كلّه لا يغيّر شيئاً لأنّ هذا المثال ينطبق على كلّ الأحداث المشتركة بين القصّتين².

3-3- التّقاطع مع الأساطير:

تبيّن لنا في المبحث السّابق أنّ التّوراة هي المصدر الأساسي للقصّة القرآنيّة، ولكن ما هي مصادر القصّة التّوراتيّة؟ وكيف انعكست هذه المصادر على الآيات القرآنيّة؟ سوف نحاول الإجابة عن هذين السّؤالين عبر دراسة التّقاطع النّصّي بين قصّة موسى القرآنيّة والأساطير القديمة التي سقت سفر الخروج.

• التّقاطع مع أسطورة سرجون:

تعدّ أسطورة سرجون الأكديّ من أكثر الأساطير تقاطعاً مع قصّة موسى التّوراتيّة والقرآنيّة، وسرجون طفل غير شرعيّ ولدته أمّه سرّاً وأرادت التّخلّص منه، فوضعتّه في سلّة ورمته في النّهر وقد عثر على السّلّة أناس فأخذوا الطّفل وتولّوا تربيته، ولما كبر سرجون استطاع أن يهدّد أحد الملوك وأن يأخذ الملّك منه، فأسس أوّل إمبراطوريّة في التّاريخ³.

إنّ التّقاطع بين هذه القصّة وما جاء في الآيات القرآنيّة جليّ واضح، وتكاد البداية في القصّتين تكون نفسها، فبعد أن وُلد موسى سرّاً، قامت أمّه بإلقائه في اليمّ خوفاً من فرعون الذي ﴿علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾⁴، ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾⁵، وبعد أن شبّ موسى، وقع النّزاع بينه وبين فرعون وقد انتهى بهلاك الأخير.

وأشار خزعل الماجديّ إلى أنّ أسطورة سرجون "التصقت بالنّبّيّ موسى، ولكنّ الحفريّات أظهرت أنّ سرجون هو الذي عاشها، وبغضّ النّظر عن حقيقتها إلّا أنّها كانت تضيّفي على صاحبها أصلاً غامضاً يدخله في نطاق الأساطير"⁶.

• التّقاطع مع أسطورة أوديب:

إنّ أوديب شخصيّة أسطوريّة جاء ذكرها في الأدب الإغريقيّ، وتحدّث هذه الأسطورة عن ملك يُدعى لاويوس، رُزق بطفل فرماه في الجبل بعد أن سمع نبوءة من أحد العرّافين تقول إنّ طفله سيقتله في يوم من الأيام، وقد عثر راعٍ على الطّفل فأخذه إلى أحد الملوك فتبنّاه وأطلق عليه اسم أوديب، وعندما شبّ أوديب

1- يذهب البعض إلى القول بأنّ البحر الذي شقّه موسى لم يكن البحر الأحمر كما ورد في التّوراة وإنّما نهر النيل، ولا ندري سبب هذه المعارضة، ولعلّ أصحابها يعتقدون أنّ هذا الحدث الخارق سيبدو أكثر واقعيّة إن وقع في النّهر وليس في البحر.

2- من يرغب في الاطلاع على المزيد من الأمثلة التي تؤكّد هذا التّطابق بين القصّة التّوراتيّة والقصّة القرآنيّة، فعليه أن يراجع كتاب "أساطير الأوّلين: القصص القرآنيّ ومتوازياته التّوراتيّة"، لفراس السّوّاح، ط2، دمشق، دار التّكوين، 2016، من ص 75 إلى ص

94.

3- الماجديّ خزعل، إنجيل بابل، ط1، عمان، الأهلية، 1998، ص254.

4- القصص: 4.

5- القصص: 8.

6- الماجديّ خزعل، مرجع سابق، ص254.

قام أحد العرّافين بإطلاعهم على مصيره، فأخبره بأنه سيقتل أباه الملك في يوم ما، وظنّ أوديب أنّ بإمكانه أن ينجو من مصيره فنفى نفسه من مملكة أبيه، أو ذلك الذي ظنّه أباه، واتّجه نحو مملكة أخرى، وبينما هو يسير في الطريق اصطدم برجل فتخاصم معه وضربه بهراوته وقتله، ولم يكن ذلك الرجل سوى لايوس والده الحقيقي، وبعد أن استطاع أوديب أن يخلّص مملكة لايوس من وحش أسطوريّ، فاز بعرش أبيه وتزوَّج من أمّه وكانت المأساة حين علم بحقيقة الأمر¹.

وقد تقاطعت الآيات القرآنيّة التي تروي قصّة موسى مع هذه الأسطورة في مواضع عدّة، فنلاحظ أنّ فرعون قد لجأ إلى قتل الأطفال العبرانيّين للسبب نفسه الذي دفع لايوس إلى التخلّص من طفله، وهو الخوف، الخوف من أن تنقلب هذه الطائفة العبرانيّة عليه بعد أن زاد عددها². ونلاحظ أيضًا أنّ موسى قد وصل صدفة إلى قصر أحد الملوك فاتّخذة ولدًا، تمامًا كما حدث في أسطورة أوديب، وإن لم يكن ذلك الملك عدوّه. وما كان يخاف منه كلّ من لايوس وفرعون قد تحقّق في النهاية إذ قتل أوديب أباه وأغرق موسى فرعون.

• التقاطع مع أسطورة كارنا:

ذُكرت هذه الشّخصيّة الأسطوريّة في المهاباراتا³، وكان كارنا هو الطفل الذي حبلت به أمّه قبل الزّواج من الإله سوريا (إله الشّمس) واضطّرت إلى نبذه، وكما حدث في الأسطورتين السّابقتين، انتشله أحدهم وهو سائق عربة فتبنّاه، وبعد أن شبّ وكبر شارك في إحدى الحروب فقتل، وتقول الأسطورة "توقّفت الأنهار عن الجريان عند سقوط كارنا وشجب لون الشّمس، وبدأت الجبال والغابات بالارتعاش، وحزنت جميع المخلوقات، عدا الكائنات الشرّيرة"⁴.

ولا داعي إلى تكرار ما قلناه في النّقطتين السّابقتين، إذ أنّ التقاطع هنا واضح، يقتصر على البدايات. ويتبيّن لنا أنّ حدث التّبذ المتكرّر في هذه الأساطير الثلاثة وفي غيرها من الأساطير، يرسم الطّابع الأسطوريّ لهذا النوع من الأبطال.

• التقاطع مع أسطورة أوزوريس:

يُعدّ أوزوريس أحد أهمّ الآلهة في مصر القديمة، فهو إله الخصوبة والبعث والحساب، وهو ابن الإلهين نوت (السّماء) وجب (الأرض)⁵.

1- الخوريّ لطفي، معجم الأساطير، ط1، ج1، بغداد، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، 1990، صص 77-78.

2- لم يُذكر هذا الأمر في النّصّ القرآنيّ بصورة مباشرة، ولكنّه ذُكر في النّصّ التّوراتيّ بوضوح (أنظر: الخروج 1: 9-10)، ونحن ندري أنّ قصّة موسى القرآنيّة تتطابق مع القصّة التّوراتيّة في معظم الأحداث الجوهريّة، والسبب الذي دفع فرعون إلى قتل الأطفال يُعدّ نقطة جوهريّة لا يمكن أن تختلف بين القصّتين، علمًا أنّ بعض المفسّرين ذهب إلى القول بأنّ السبب هو نبوءة سمعها فرعون من بعض السحرة، ومفادها أنّ أحد هؤلاء الأطفال سيقضي عليه (أي على فرعون) بعد أن يكبر، وهذا ما ينسجم أكثر مع أسطورة أوديب.

3- ملحمة هنديّة قديمة، تُعدّ إحدى أهمّ مصادر الميثولوجيا الهندوسيّة.

4- الخوريّ لطفي، مرجع سابق، ج2، صص 163-164.

5- ناردو دون، الأساطير المصريّة، ط1، تر. أحمد السّرساوي، القاهرة، المركز القوميّ للترجمة، 2011، ص41.

ما يعيننا في قصة هذا الإله هو حادثة قتله، فقد نصب له أخوه "ست" فخاً ليتخلص منه ويستولي على عرشه، فصنع تابوتاً فاخراً يتلاءم مع جسم أخيه وأعدّ حفلاً جمع فيه الحاضرين حوله وقال: "إليك هذا العرض، كلُّ منكم سيأخذ دوره في الدّخول إلى هذا التّابوت، ومن يتفق حجمه مع هيكل جسمه، فهو هديّة منّي إليه"، ولم يناسب التّابوت أحداً سوى أوزوريس، وما إن دخله هذا الأخير واستلقى فيه حتّى دفع "ست" غطاءه وألقاه في النّيل. تتبعت إيزيس أخت أوزوريس وزوجته التّيّار بحثاً عن التّابوت ووجدته أخيراً عند أحد الملوك، فاستردّته واستطاعت أن تبعث أباها وزوجها إلى الحياة من جديد¹.

وتكشف الآيات القرآنيّة في قصة موسى عن تقاطع كبير مع هذه القصة، إذ تسرد الآيات صراعاً بين الخير والشرّ، أي بين موسى وفرعون، وهو شبيه بصراع أوزوريس مع "ست"، ويتأكّد هذا التّقاطع من خلال بعض الجزئيّات المتماثلة، فنرى أنّ موسى قد وُضع في تابوت وقُدّف في اليمّ الذي قيل إنّ النّيل²، وقد جرفه التّيّار إلى أحد الملوك وهو فرعون، فقامت أخته (أي أخت موسى) باستقصاء أخيها³، ونجحت باستعادته من فرعون إلى أمد⁴.

يمكننا القول إنّ إدخال البطل في تابوت ثمّ رميه في النّيل، ثمّ بلوغه أحد الملوك، ثمّ قيام الأخت باستقصائه واستعادته، جزئيّات شبه متطابقة بين القصّتين، وهذا يدلّ على الطّابع الميثولوجيّ الذي اصطبغت به قصة موسى.

ما نودّ قوله في هذا الفصل، هو أنّ قصة موسى القرآنيّة نسخة مختصرة للقصة التّوراتيّة، وهذه القصة التّوراتيّة ليست سوى آثار لنسخ أسطوريّة قديمة، فنلاحظ أنّ موسى هو ذلك البطل الأسطوريّ الذي وُلد في ظروف قاسية فنُبد بعيداً من أهله، وما إن شبّ حتّى بدأ صراعه مع قوى الشرّ المتمثلة في فرعون وقومه لينتهي أخيراً بالقضاء على الملك المستبدّ. ظهرت هذه المشهديّة في كثير من الأساطير القديمة: أساطير إغريقيّة وسومريّة وهندوسيّة ومصريّة، حتّى أصبحت قالباً حكائياً يلجأ إليه كلّ شعب يريد أن يجعل له بطلاً قومياً يُعرف من خلاله.

1- أنظر: المرجع نفسه، ص43، 44، 45، 47، 48.

2- أنظر: طه: 39.

3- أنظر: القصص: 11.

4- أنظر: طه: 40.

4- خاتمة:

نظنّ أنّ الوقت قد حان لأن نقرأ القرآن قبل فهمه، أو لنفهمه بعد قراءته. لقد حان الوقت فعلاً للتثبت من حقيقة معتقداتنا وإيماننا وقرآنا. قد يكون هذا الكتاب أعظم ممّا نتخيّل وقد لا يكون كذلك، قد نجد أنّه معجزة بالفعل وقد لا نجد ذلك، قد نصبح أكثر إيماناً بكلامه وقد لا نصبح كذلك، ومهما كانت النتيجة فإنّها أفضل بكثير من جهلنا المستمرّ بكلّ ما يتعلّق بهذا الكتاب.

قد ينكر القارئ بعض ما ورد في هذا البحث، وقد يُعجب بما يحتويه فيقتنع به، وفي الحالين سوف يتحفّز على البحث والمطالعة ليصبح أكثر بيّنة فيدحض ما أتينا به أو يدعمه. وهكذا نكتشف أنّ هذا النوع من الأبحاث مفيد على الدوام، ولعلّه يجلب لصاحبه الحسنات المزعومة أكثر من الموعظ الدينيّة التي سرعان ما تتلاشى في أذهان المستمعين لأنّ تلك الموعظ لا تشوّقهم إلى الغوص في النصّ القرآني والتأمّل فيه، والبحث حوله كما يفعل بحث كهذا.

لا ضير في التّساؤل وإنّما الضّير في الجهل: من هو موسى؟ ما سبب هذه التناقضات التي وردت في قصّته؟ هل يُعقل أن يكون أسطورة يهوديّة؟ هل يُعقل أن يكون هو سرجون الأكاديّ نفسه أو أوديب الإغريقيّ أو كارنا الهندوسيّ أو أوزوريس المصريّ؟ وعشرات من الأسئلة الأخرى. إنّ هذه الأسئلة لا تحثّنا على الإلحاد ضرورةً، بل من شأنها أن تغرس فينا إيماناً أقوى ولا سيّما إذا عثرنا على الأجوبة المناسبة لها، ولكنّ المترمّتين يصرون على الاحتمال السّلبّيّ دائماً، فيردعوننا ويرهبوننا ويمنعوننا من إعمال عقولنا في قراءة النصوص المقدّسة في ضوء غير الذي يسلّطونه عليها.

حاول فرويد سابقاً أن يثبت أنّ موسى مصريّ وليس عبرانيّاً¹، وراح يستقصي الحجج والبراهين التّاريخيّة ليثبت فكرته، وقد تبدو هذه الفكرة غريبة وصادمة، ولكنّ هذا لا يجعل منها خاطئة فليس كلّ ما يعارض موروثنا خاطئاً بالضرورة. إنّ الأرض المسطّحة كانت حقيقة مطلقة لا يستطيع أحد التّشكيك فيها حتّى جاء بعض العلماء وأثبتوا أنّها كرويّة ومع ذلك أصرت طائفة على موقفها الموروث، فكذّبت الحقائق العلميّة كلّها وظلّت مستمرّة في عنادها وجهلها حتّى يومنا هذا.

إنّ التّمسك بكلّ ما سمعناه وورثناه حول النصّ القرآني لا يجعل ممّا مؤمنين وأتقياء دائماً، فقد نكون بهذا التّمسك الأعمى، كتلك الطائفة التي ما زالت تكذب على نفسها وترفض أن تتحقّق من الأفكار الأخرى، فقط، لأنّها غريبة عمّا سمعته ونشأت عليه.



1- راجع: فرويد سيغموند، موسى والتوحيد، ط4، تر. جورج طرايشي، بيروت، دار الطليعة، 1986.

قائمة المصادر والمراجع:

العربية:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- الكتاب المقدس: سفر الخروج.
- 3- البغويّ (الحسين بن مسعود)، تفسير البغويّ: معالم التّنزيل، ط1، تح. محمّد النّمر وعثمان ضميريّة وسليمان الحرش، الرّياض، دار طيبة، 1991.
- 4- حمّودة (عبد العزيز)، المرايا المحدثّة، الكويت، عالم المعرفة، 1978.
- 5- الخوري (لطف)، معجم الأساطير، ط1، بغداد، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، 1990.
- 6- دريدا (جاك)، الكتابة والاختلاف، ط2، تر. كاظم جهاد، الدّار البيضاء، دار توبقال للنّشر، 2000.
- 7- الدّمشقيّ (إسماعيل بن عمر بن كثير)، تفسير القرآن العظيم، ط2، تح. سامي بن محمّد السّلامة، الرّياض، دار طيبة، 1999.
- 8- الرّازي (محمّد)، تفسير الفخر الرّازي: المشتهر بالتّفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، بيروت، دار الفكر، 1981.
- 9- الرّصافي (معروف)، كتاب الشّخصيّة المحمّديّة، ط5، بغداد، منشورات الجمل، 2011.
- 10- أبو زيد (نصر حامد)، النّصّ والسّلطة والحقيقة: إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، ط5، الدّار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، 2006.
- 11- السّوّاح (فراس)، أساطير الأوّلين: القصص القرآنيّ ومتوازياته التّوراتيّة، ط2، دمشق، دار التّكوين، 2016.
- 12- سيوران (إميل)، مثالب الولادة، ط1، تر. آدم فتحي، بيروت، منشورات الجمل، 2015.
- 13- الطّبريّ (محمّد بن جرير)، تفسير الطّبريّ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، تح. بشّار معروف وعصام الحرستانيّ، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، 1994.
- 14- طرابيشي (جورج)، المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ط1، بيروت، دار السّاقّي، 2008.
- 15- عبّاس (دلّال)، القرآن والشّعر، ط1، بيروت، دار المواسم، 2009.
- 16- العمري (مصطفى)، فوبيا المقدّس: جدليّة المعرفة وخصام السّائد، ط1، بيروت، دار الفارابي، 2019.
- 17- فرويد (سيغموند)، موسى والتّوحيد، ط4، تر. جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، 1986.
- 18- القرطبيّ (محمّد بن أحمد)، الجامع لأحكام القرآن: والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، ط1، ج19، تح. عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، 2006.
- 19- قطب (سيّد)، التّصوير الفنّيّ في القرآن، ط17، القاهرة، دار الشّروق، 2004.
- 20- الماجديّ (خزعل)، إنجيل بابل، ط1، عمان، الأهلّيّة، 1998.

- 21- مجمع اللغة العربيّة، معجم مصطلحات الأدب، تح. سميرة شعلان، القاهرة، 2007.
- 22- المسيري (عبد الوهّاب)، "دريدا في القاهرة: التّفكيكيّة والجنون"، جاك دريدا والتّفكيك، ط1، تح. أحمد عطية، بيروت: دار الفارابي، 2010.
- 23- مصطفى (إبراهيم) وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، القاهرة، المكتبة الإسلاميّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، 1993.
- 24- ناردو (دون)، الأساطير المصريّة، ط1، تر. أحمد السّرساوي، القاهرة، المركز القوميّ للتّرجمة، 2011.

الأجنبيّة:

- 1- Goldenberg (Suzanne), The Guardian: "A miracle! Science claims it has figured out how sea was parted for Israelites", 2010.